

صبحي شحروري ناقدًا

عمر عبد الرحمن*

مقدمة

تستهدف هذه الدراسة واحدا من أشهر الأدباء والنقاد الفلسطينيين، صبحي شحروري، كاتب القصة، والسردية التجريبية، والدراسة النقدية. تسلط الدراسة الضوء على محطات من سيرة حياة الأديب، كما أنها تتناول - بإيجاز- أهم دراسات الأديبة والنقدية. إضافة لذلك فإنها تركز على الأساليب والطرائق والنظريات التي اعتمدها شحروري في دراساته. ولم يكن يتسنى للباحث جمع هذه المعلومات إلا بالاطلاع على أهم منجزات الأديب، سواء أكان في القصص أم في النقد، علاوة على مقابلتين أجراهما الباحث مع الأديب.

السيرة الذاتية.

وُلد صبحي محمود ذيب شحروري في بلدة بلعا- طولكرم عام 1934م، في أسرة فلاحية تعيش على الزراعة، درس في كُتّاب البلدة، ثم دخل مدرسة بلعا الأميرية وتخرّج منها في الصفّ السابع الابتدائي، ومنها انتقل إلى مدرسة طولكرم الثانوية (الفاضلية فيما بعد)، وتخرّج منها حاصلًا على شهادة الاجتياز العالي الفلسطيني، وهي ما كانت تسمّى بشهادة (المترّك).

عمل شحروري في الكرك معلّمًا، ثم نُقل إلى مدرسة معان الأساسية، وفي العام 1956م نُقل إلى مدرسة عنبتا الأميرية، حيث درّس فيها مدة 10 سنوات، انتقل بعدها ليعلم في المدرسة التي تعلّم فيها (الفاضلية) فدرّس فيها 3 سنوات، من ثم نُقل إلى المدرسة العدويّة للبنات ليقضي فيها 8 سنوات، ثمّ ينتقل إلى مجال التّعليم العالي،

* باحث - وزارة التربية والتعليم - جنين - فلسطين.

ليحاضر في (كَلَيْتَة الحسین الزّراعیّة/ الخضوري)، وفي هذه الرّحلة التّعلیمیّة في المدارس المختلفة في المناطق المختلفة، علّم شحروري مواضيع الطّلبة كافة، سواء العلمي منها أم الإنساني، وأحبّه طلابه لقربه منهم، ولإيمانه بأنّ التّعليم رسالة، رسالة بناء الدّات والمجتمع.

في عام 1968م حصل شحروري على إجازة في الفلسفة، من جامعة دمشق بتفوّق، وفي بداية الثّمانینیات يلتحق شحروري ببرنامج الماجستير في التّربية في جامعة النّجاح الوطنيّة، ويتخرّج بامتياز...

وقد أفاد شحروري أيّما إفادة من دراساته الجامعیّة في الفلسفة والتّربية، سواء أكان ذلك في مجال التّربية والتّعليم، وطرائق التّدريس، وآلیات التّواصل مع الطّلاب، أم كان ذلك في مجال العمل السّرديّ، والكتابات النّقديّة، وعملیة البناء الرّوائي أو القصصي^(*). "بدأ شحروري نشاطه الأدبيّ عام 1955م، حيث كان مدرّساً في مدينة معان في الأردن، بقصص أذيعت من إذاعة رام الله في ذلك الوقت، ثمّ في الكتابة في الصّفحة الأدبیّة في جريدة "الجهاد المقدسیّة"، وأول قصّة لصبحي الشّحروري نشرتها له مجلّة "رسالة التّربية اللّبنانیّة"⁽¹⁾.

وقد برز اسم صبحي شحروري في مجلّة "الأفق الجديد" في ستّینیات القرن الماضي، فما أن تذكر مجلّة (الأفق الجديد)، حتّى يُذكر الجيل الجديد، ومن بينهم صبحي

* أخذت هذه المعلومات عن سيرة حياة صبحي شحروري من:

- موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، محمّد حمادة، سورياً، سنة 2000 م.
- مقابلة مع الباحث شحروري في 2014/2/8 م.

¹ - مقدّمة النّاشر، المعطف القديم، مجموعة قصصیّة، منشورات البيادر، القدس، ط1، سنة 1983 م، ص3.

شحروري. يقول يحيى يخلف: "تعرّفتُ إلى صبيح شحروري في مطلع السّتينيّات، وأنا طالب في الثّانويّة، حيث كنت أقرأ قصصه على صفحات مجلّة "الأفق الجديد" التي كانت تصدر في القدس، والتي لعبت دورًا كبيرًا في ولادة أدب فلسطينيّ جديد، رافق مرحلة الإرهاصات التي تبلورت فيها الهويّة والشخصيّة الوطنيّة الفلسطينيّة، وسبقت انطلاقة الكفاح المسلّح وبشّرت بها..."⁽¹⁾.

"كان صبيح شحروري أحد أهم كتّاب القصّة القصيرة الذين دأبوا على نشر قصصهم في مجلّة "الأفق الجديد" وثمّ من يخطئ في اعتباره من الجيل الذي اصطلح على تسميته فيما بعد "جيل الأفق الجديد"، فهو أسبق من هذا الجيل في مضمار الكتابة الإبداعية والصّحفيّة، لأنّه ابتداءً الكتابة منذ العام 1955م"⁽²⁾.

وعن هذه المرحلة يحدّثنا شحروري: "للأفق الجديد فضائل كثيرة علينا معشر الكُتّاب - وخصوصًا الفلسطينيّين- ففي الأفق وجدنا المكان يتّسع لرؤانا الفكرية والأدبيّة والثّقافيّة، ويطوّرها، وفي الأفق توطّدت علاقاتنا، فكانت المجمع الكبير، والنّادي الأدبي الذي يجمعنا، ويلمّ شتاتنا، فمن أصدقائي الذين لا أنساهم الأديب الشهيد ماجد أبو شرار، الذي ربطتني فيه علاقة حميميّة... ولقد علّمتنا الأفق الجديد، أن نقرأ مختلف الآداب ونطلّع على تنوع المدارس الأدبيّة والنّقديّة، ففي الأفق اطّلعتنا على الوجوديّة من خلال الأديب سهيل إدريس رئيس تحرير مجلّة الآداب اللّبنانيّة، وتعلّقنا بالفكر الوجوديّ - مع أنّنا كنّا نقرأ الفكر ولا نجد فهمه - ومع هذا استطعنا توظيفه إلى حدّ ما في إبداعاتنا الأدبيّة... وفي الأفق الجديد كانت بدايات التّحوّل عندي من كتابة القصّة القصيرة إلى الدّراسات النّقديّة، حيث بدأت

¹ - يخلف، يحيى، الحياة الجديدة، 4 كانون الأوّل، عام 2013م، العدد 6494.

² - شقير، محمود، "صبيح شحروري... المثقّف الذي لا يساوم"، مجلّة الشّعراء، فلسطين، خريف

هذه المرحلة بكتابة مقال في زاوية "مناقشات" في تلك المجلة بعنوان "نمر سرحان، وماجد أبو شرار... إلى أين؟"، وكان المقال عبارة عن دراسة نقدية لإنتاج هذين الأدبيين، ولكن - وللأسف- رفض رئيس تحرير الأفق الجديد "أمين شنّار" نشر المقال، بدعوى أنني متفرّغ لكتابة القصّة ولم أتفرّغ لكتابة النّقد - مع أنني أجد الكتابة النّقدية- باعتراف الشنّار نفسه⁽¹⁾.

"منذ حمل العلم في خمسينيات القرن الماضي، وهو معنيٌّ بهموم حركتنا الثقافيّة، متفاعل معها ومع ما طرحه من نتاجات ثقافية مختلفة، لذلك لم يكتفِ بالاهتمام بالقصّة القصيرة التي كتبها منذ مطلع شبابه، بل إنّه كرّس جزءاً غير قليل من اهتمامه لكتابة النّقد الأدبيّ، نقد الشّعر والقصّة والرّواية، وأعطى في ذلك نتاجاً متميّزاً، بسبب قدرته على تدوُّق النّصوص الأدبيّة، والتّعاطي معها دون مجاملة أو اعتبارات شخصيّة، وبسبب الحرص على متابعة أحدث النّظريّات النّقدية واستيعابها والاستفادة منها عند النّظر إلى نتاجاتنا الثقافيّة المحليّة"⁽²⁾.

لقد كتب شحروري وبموسوعيّة لافتة في القصّة القصيرة والرّواية، والنّقد الأدبي في غير مجلة أدبيّة ثقافية، وحرّر عشرات المقالات الأدبيّة التي تميّزت بعمقها، وصدقها، وجراعتها، تلك الجراة التي سبّبت كثيراً من المشاكل للكاتب. ومع كلّ هذا فقد استطاع شحروري أن يقيم أفضل الرّوابط بين الأدباء والكتّاب الفلسطينيّين، وخصوصاً من كان منهم وراء الخطّ الأخضر، ومن تجلّيات هذه العلاقة تلك المكتبة الأدبيّة التي أنشأها شحروري في طولكرم، وأصبحت بؤرة لمكتبات أخرى، خصوصاً في الدّاخل

¹ - مقابلة الباحث لشحروري 2014/2/8م.

² - شقير، محمود، "صبي شحروري... المثقّف الملتزم"، مصدر سابق.

الفلسطيني، حيث كانت تلك المكتبة مؤنلاً يزود أدباء الدّاخل والمهتّمين بالكتب الأدبيّة"⁽¹⁾.

ولأسباب عديدة يتوقّف نشاط الشّحروي الإبداعي بعد عام 1967م، "وصبيحي شحروري لم ينشر حتّى صدور البيادر في آذار 1976م سوى مقال وقصّة قصيرة وأخرى مترجمة"^(*)، ثمّ أخذ ينشر فيما بعد تحت اسم مستعار وهو "أبونضال" وأشار إلى سبب صمته حين كتب في البيادر قائلاً: "ولقد كنتُ دائماً أعتقد أنّ الصّحافة اليوميّة، وحتّى صفحاتها الأدبيّة الأسبوعيّة، ليست هي المنبر لنشر الأدب الإبداعيّ الجادّ لأسباب عديدة أهمّها: أنّ قارئ الجريدة سياسيٌّ في الغالب لا يحفل بالأدب، لذا أرى أنّ الأديب الجادّ يعزف بطبيعته عن الصّحف اليوميّة، رغم أنّها في كثير من الأحيان تحقّق له الانتشار الأوسع إن كان مشهوراً، وتكسبه الشهرة إن كان ناشئاً"⁽²⁾.

ويتابع شقير في استعراض أسباب توقّف الشّحروي عن الكتابة: "كانت حرب حزيران العام 1967م قد وقعت، وتركت أثرها السّلبّي على كثير من مظاهر حياتنا المختلفة، ومن ضمنها بطبيعة الحال الثّقافة ومنابرها القليلة التي كانت متوفّرة قبل الحرب، فقد توقّفت مجلّة "الأفق الجديد" عن الصّدور، وهي الرّئة التي كنّا نتنفس من خلالها، (توقّفت قبل الحرب بأشهر بسبب ضائقة ماليّة) وتوقّفت صحيفة القدس اليوميّة عن الصّدور مدّة تجاوزت السّنة بسبب ظروف الاحتلال وإجراءاته

¹ - مقابلة الباحث لشحروري 2014/2/8 م.

* المقالة بعنوان "همهمة بين السّطور"، القدس 1971/6/25م. والقصّة القصيرة بعنوان "الحملة"، القدس 1971/7/23م، وهي ضمن مجموعته القصصيّة "المعطف القديم" المترجمة بعنوان "خيط الوهن الأزرق" لأرسكين كالديويل، القدس 1971/8/20م.

² - الأسطة، عادل، القصّة القصيرة في الضّفّة الغربيّة وقطاع غزّة، 1967-1981م، نابلس، 1983م، ص 8 وما بعدها.

غير الطَّبِيعِيَّةِ، وتبعثر الكُتَّابُ الَّذِينَ كانوا يتجمَّعون من حول مجلَّة الأفق الجديد، وتوقَّف عدد منهم عن الكتابة لفترات مختلفة، كما توقَّف بعضها الآخر عن الكتابة بسبب الصَّدمة الَّتِي أحدثها الاحتلال...⁽¹⁾.

إضافة لسعة قراءاته وتعدُّدها وعمقها، "يمتاز شحروري بالتَّواضع الجَمِّ والبساطة الَّتِي تجعله قريبًا من النَّاسِ، وهو أبعد ما يكون عن التَّعالي وعن التَّباهي بحصيلته الثَّقافيَّة الواسعة، وهو أبعد ما يكون كذلك عن توظيفها للمساومة أو لإحراز مكاسب شخصيَّة أو مصلحيَّة، وشحروري زاهد في متع الحياة وفي بهرج المكاسب الماديَّة، وكذلك في الوظائف العامَّة والامتيازات الشَّخصيَّة، إنَّه المثقَّف السَّاعي إلى الحقيقة، وهو مسلَّح بالصَّفاء وبالتَّجرُّد والنُّبل، إنَّه الرَّجُل الَّذِي ما زال ينظر إلى القيم باعتبارها علامة على سعي البشر إلى ما هو أبهى وأجمل"⁽²⁾.

فاز شحروري في أكثر من مسابقة، وكُرِّم في أكثر من موطن، أهمُّها جائزة وزارة الثَّقافة الَّتِي تحمل اسم الشَّاعر الفلسطيني توفيق زِيَّاد عام 1996م.

يقول شحروري عن مراحل تجربته الإبداعية:^(*)

"يربطني كثير من الكُتَّاب والنُّقاد بمجلَّة الأفق الجديد، ويقولون إنني من جيل الأفق الجديد، ولكيِّي أقول: لقد كان لي نشاط كبير وملحوظ قبل صدور الأفق الجديد بحوالي خمس سنوات، حيث تابعت في هذه الفترة المجلَّات الَّتِي كانت تصدر في بيروت (عاصمة الثَّقافة العربيَّة) في خمسينيَّات وستينيَّات القرن الماضي بعد القاهرة، ومن هذه المجلَّات "الأديب"، وتأثرت بالقصص العراقيَّة الَّتِي كانت تصدر في بيروت،

¹ - شقير، محمود، صبحي الشَّحروري... المثقَّف الَّذِي لا يساوم، مصدر سابق.

² - ن.م.

* - مقابلة الباحث لشحروري 15 / 5 / 2014 م.

ويمكن أن يكون ذلك هو سبب اهتمامي بالقصة القصيرة، إضافة لذلك فقد اتّصلت قراءة وكتابة بمجالات ذات طابع أيديولوجي مثل "الأداب" ذات الطابع القومي، و "الطريق" الماركسيّة، ومجلة "شعر" التي بشرت بقصيدة النثر، وهي مجلة ليبراليّة غربيّة...

ففي الآداب اللبنايّة، التي يرأس تحريرها "سهيل إدريس" كتبت قصة بعنوان "ضيف في الزوّية"، وتدور حول قصة سفري من سورياً إلى الحمّة الفلسطينيّة ورؤيتي لأوّل مرّة لمدينة طبريّا وبحيرتها⁽¹⁾.

كما نشرت في الآداب قصّة الشّهيرة "ثوار" عام 1964م، التي فازت بجائزة الأردن في القصة القصيرة، ونشرت أكثر من قصة في مجلة رسالة التّربية اللبنايّة، وهي قصص ذات طابع تربويّ مثل قصة "رذاذ بارد"، وقصة "ياس ورجاء"، بالإضافة إلى هذا تابعت مجلة "القلم" التي كان يصدرها عيسى النّاعوري، وكل هذا يثبت أنّي من جيل سابق لجيل الأفق الجديد، تلك المجلة التي صدرت عام 1961م، وتوقّفت عام 1966م.

مؤلّفاته:

أنجز شحروري العديد من المؤلّفات التي تنوّعت بين قصة قصيرة، ورواية، وكتاب نقديّ، ناهيك عن عشرات الأوراق البحثيّة والأدبيّة، والمقالات النّقديّة التي نشرها في مختلف الصّحف والمجلات المتخصّصة. وفي هذا البحث سنسلط الضّوء على بعض من هذه الدّراسات والأبحاث والأعمال الأدبيّة والنّقديّة.

¹ - شحروري، صبيح، قصة "ضيف في الزوّية"، الآداب، العدد الرّابع، نيسان 1964م، السّنة 12، بيروت، لبنان.

أ- القصص والروايات:

1- المعطف القديم. مجموعة قصصية-منشورات البيادر، القدس، ط1، سنة 1983م.

تتضمن هذه المجموعة القصصية تسع قصص قصيرة، وتعتبر من الإنجازات الأدبية الأولى لشحروري، وقد كتبها على فترات متباعدة تصل العشرين عامًا أي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي.⁽¹⁾

وتتمحور هذه القصص حول الأرض، ذاك المحور الذي ما انفكت كل أنشطة شحروري الأدبية تدور حوله، فوصف الأرض، ووصف علاقة الإنسان بها، كما وصف ممارسة الإنسان على هذه الأرض، والحسرة التي تملؤه من نهب الحركة الصهيونية لأرض الوطن... أرض فلسطين... وليس من قبيل المبالغة إذا قلنا إن الصورة التي يظهر فيها شحروري في قصصه هي صورة الفلاح الفلسطيني الذي يمتلك محبة للأرض... وحيث يتماهي الإنسان مع الأرض "أبو العبد لم يكن يبدو عليه أنه يهزم، بل لقد استحال في نظري إلى معلّم من معالم القرية تمامًا كأزقتها المتعرجة الضيقة، وأكوأها الطينية الملتفة..."⁽²⁾. ويزور السارد العمّ أبا العبد في مرضه، وتعمل عدسة المصوّر، وتنتج رسوماتها الدقيقة في البيت، حتى ليخيل إلينا أننا ندخله مع السارد... "كانت الغرفة كما أعدها من قبل، باب صغير مظموس اللون في الجنوب، وقوس الفراش في الصدر، وإلى الغرب خزانة البيرو الصغيرة، تظللها كوة هي مصدر النور الوحيد عندما يُغلق الباب، وحصير تعرّت خيوطه لكثرة ما وطئته الأقدام، لكنّ الجدران كانت عارية من كل شيء تقريبا، فقد اختفت الأطباق القشبية

¹ - شحروري، صبحي، المعطف القديم، مجموعة قصصية، منشورات البيادر، القدس، ط1 سنة 1983م، ص5.

² - ن.م.، ص13.

المزوّقة، الّتي كانت أمّ العبد تتفنّن في صنعها، والمكحلة المطعّمة بالخرز يتوجّها مرواد طويل مطّهم، والمهفّة الحريّة النّاعسة... كانت المسامير والأوتاد عارية تبعث الكآبة في النّفس..."⁽¹⁾.

إنّها لوحة تراثيّة عبقة برائحة الأدوات، وأجواء العقود الفلسطينيّة الطّينيّة العتيقة، "اعتمد فيها السّارد أسلوب التّصوير، وكأنّ السّارد فيها أحياناً كثيرة مجرد عدسة تركّز على عدّة أماكن وعلى عدّة جوانب في آن."⁽²⁾

وفي قصّة "الزّامور"، يكتّف السّارد النّكبة الفلسطينيّة ويلجّصها في سائق السيّارة الفارهة الّتي كانت تقلّ الرّكاب من طولكرم إلى يافا، ولمّا سقطت يافا، تغيّرت السيّارة وأصبحت تقلّ الرّكاب من طولكرم إلى نابلس، وتعدّدت سيّارات الرّجل الّتي اقتناها ولكنّ الزّامور بقي ثابتاً... وترمز القصّة إلى معنى الثّبات وبقاء جذوة الهويّة، والارتباط بالأرض.

"لقد ظلّ الرّجل وفيّاً لزاموره حتّى النّهاية، كان يصبرُ على الاحتفاظ به، كلّما باع سيّارة ليقتني أخرى، ويوم دارت عجلات الفورد السّوداء لتتجه نحو الشّرق حين لم يعد باستطاعتها أن تتجه نحو الغرب."⁽³⁾

وطعم المأساة باقي في حلق السّارد، وهو ينظر من بلدته (بلعا) المطلّة على شواطئ البحر المتوسّط، فيرى التّرى السّليب، ويرمز إليه السّارد بعبارة (الطرف الآخر

¹ - شحروري، المعطف القديم، مصدر سابق، ص 19.

² - الأسطة، عادل، سؤال الهويّة، فلسطينيّة الأدب والأديب، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، رام الله، المنارة، ط 1 سنة 2000م، ص 65.

³ - شحروري، المعطف القديم، مصدر سابق، ص 42.

الأخضر)، ففي قصّة "الحملة" وأشجار عالية هرمة من الكينا طالما منعتني من تسريح طرفي في الطّرف الآخر الأخضر"⁽¹⁾.

وفي قصّة الطّرف الآخر الأخضر "إنّك لتبحث عن طعم المأساة، إنك تستلهم ذاتك، تعصرها عصرًا، تنبش ركنًا مهجورًا في أعماق أعماقك، وإلا فركام الطّين التّف من سنين، والحدُّ بينه وبين ما تدعوه الطّرف الآخر الأخضر قائم منذ زحفت الأمواج المدعورة على هذه المدينة الصّغيرة"⁽²⁾.

وفي قصّة الرّامور "هذه الأرض لم أكن أعرف عنها شيئًا سوى ما كنت أراه من قمّة الجبل الّذي تقع عليه بلدتي الصّغيرة، وسوى ما كنت أقرأ عنها في كتاب الجغرافيا، وما قاله عنها ابن خالتي من أنّها تشبه الجنّة"⁽³⁾.

وفي قصّة "الطّرف الآخر" يقارن السّارد بين حياة الشّاطئ الجميل، والرّمّن الجميل، وحياة المشرّدين المعدّيين في مخيّمات الطّين والتّنك والفقير...⁽⁴⁾. ولم يكتف السّارد بعقد مقارنة سطحيّة بين نوعين متناقضين من الحياة، بل صوّر وبأدقّ التّفصيل الاختلاف في ممارسة الإنسان وسلوكه تبعًا لبوتقة حياته التّفاعليّة في الرّمّان والمكان، ورصد هذا الاختلاف، وأشار إليه "كان الفضاء الرّحب يباعد ما بين الكبير والصّغير فيخلق للكبير في نفس الصّغير مهابة تدفعه إلى أن يهوي على يده مقبلاً، كان الرّوج لا يعود إلى زوجته إلاّ بعد رحلة بعيدة يكون قد جنى بها خيرات أرض معطاء مفتوحة الصّدر، كان يعود مع صهيل الخيل وجعير الجاموس، وكانت الرّوجة تنحني

¹ - ن.م.، ص 26.

² - ن.م.، ص 84.

³ - ن.م.، ص 27.

⁴ - شحروري، المعطف القديم، قصّة الطّرف الآخر الأخضر، مصدر سابق، ص 85.

لتلحق بلسانها عرق يده الخشنة، كانت تستنفذ كل رَقَّتْها وخشونتها في إرضائه لأُمَّها كانت مهذّدة بثانية وثانية وثالثة.

واليوم استحال شطآن الرَّمَل الواسعة إلى أَرْقَة طينية مظلمة تعجُّ بالوحل، وربُّ الأسرة لم يعد الفارس المطوّف الذي تنتظره جارية وفيّة، إنّه ينحسر وصغاره في زريبة يطالعهم وجهه كلّ ساعة وتمتلئ نفوسهم بآيات ضعفه وعيبه⁽¹⁾. ويشحن الشَّحروري اللُّغة العاميّة حتّى تتوهَّج طاقة جديدة تعبر عن معاني الفلاحين الفقراء، والمشردّين المعدّيين "قطعت أهلها وهي تمطر"⁽²⁾، "كنت لا أسلّم من الطَّسِّ"⁽³⁾، "سأدفن نفسي في الموح"⁽⁴⁾، "أنا ربّيتك على إيدي"⁽⁵⁾.

وليس من الصَّعب على الباحث أن يستنتج أنّ السَّارد منحاز لهموم وطنه، وأبناء شعبه، فهو صاحب قضية يحملها أينما كان، وأينما ارتحل، وهو في صفِّ الفقراء الكادحين المقهورين الذين يواجهون قهراً طبقيّاً وقهراً من الاحتلال "إنَّهم يعيشون في المخيمات، ولا شكَّ بأنَّ هؤلاء السَّادة يتركون قصورهم ليلاً، ويذهبون للنَّوم في المخيم، النَّوم هناك مريح، والبيوت التَّنكيّة والطَّينية توقّر جوّاً من الودِّ الذي عرف به أبناء شعبنا..."⁽⁶⁾.

¹ شحروري، المعطف القديم، قصّة الطَّرف الآخر الأخضر، مصدر سابق، ص 85.

² شحروري، المعطف القديم، قصّة الطَّرف الحملة، مصدر سابق، ص 25.

³ شحروري، ثلاث ليال فلسطينيّة جدًّا، المؤسّسة الفلسطينيّة للإرشاد القومي، رام الله، ط 1،

سنة 2003م، ص 22.

⁴ ن.م، ص 57.

⁵ ن.م، ص 59.

⁶ شحروري، المعطف القديم، مصدر سابق، صفحة 42.

ولا يكفي بسرد الصِّراع بين الشُّخص الإنسانيَّة، بل يأخذ الصِّراع شكلاً رمزياً بين الأشياء، للتدليل على اتِّساع رقعة الصِّراع في كلِّ الفضاء الزِّوائي: "ويد التِّلْفون السَّوداء تشي بالتَّنقض بين الأسود والأبيض"⁽¹⁾، ويقول مخاطباً الخُشَّة وشجرة التَّين "الخُرطُماني"، "وأنت أيتها الخُشَّة وفوقك العريشة، ألم نهدمك بعدما أقمنا أمامك بيتاً حديثاً، وأنت أيتها التَّينة الخُرطُمانيَّة الكبيرة لقد يبست، بقي جذعك ناتئاً في الرِّيح لسنوات طويلة، قبل أن يأكله السُّوس ويهوي..."⁽²⁾.

ويمكن تلخيص قصص المجموعة على النَّحو الآتي:

1. المعطف القديم: تدور حول ممارسات رجل فقير يعمل حارساً في البلدة، يعطيه السَّارد معطفه كي يبدو أنيقاً أمام أصهاره الجدد.
2. الحملة: وتدور حول فيضان يغمر البلدة، فهبَّ النَّاس لإنقاذ الدُّور المغمورة بالماء.
3. الزَّامور: سائق سيَّارة من يافا إلى طولكرم، تسقط يافا بيد الصَّهباينة فيتحوَّل خطُّ سير السيَّارة إلى طولكرم - نابلس.
4. معلِّم وتحيَّة: وصف لأيَّام دراسيَّة، وحياء معلِّم بين صفوف الطُّلبة.
5. سلَّة التَّين: يصل السَّارد للبلدة من مكان عمله البعيد، فتتعهد أخته بإعطائه سلَّة تين، تصحو من الصُّباح الباكر إلى الحقول البعيدة لجلب التَّين، ولكنَّه لا يستطيع انتظارها، لأنَّ سائق السيَّارة ملَّ الانتظار...
6. تمارين في كتابة سيرة ذاتيَّة: بعض تفاصيل حياة السَّارد في المكتبة الخاصَّة الَّتِي أنشأها، وعلاقته بالمحيط.

¹ شحروري، ثلاث ليال فلسطينيَّة جدًّا، مصدر سابق، ص 39.

² ن.م.، ص 60.

7. الطَّرْف الأخضر الآخر: تأملات السَّارد وهو ينظر غربًا من بلدته "بلعا"، إلى الوطن السَّليب.
8. رأس الشَّيخ والقطار: تدمير العصابات الصُّهيونيَّة للقطار الَّذي يمرُّ من طولكرم، ووقوع قتلى وجرحى، بينهم قريب السَّارد.
9. زكي باع عود: تصوير لعلاقة السَّارد بطفلته، والتحاقها بالرَّوضة، وتعلُّمها الحروف الهجائيَّة.

2- الدَّاخل والخارج:

صدرت هذه المجموعة القصصية عن منشورات شمس في المثلث عام 1993م، وتتضمَّن المجموعة تسع قصص، ويمكن تلخيص مضمونها على النَّحو الآتي:

- قصَّة الدَّاخل والخارج: (ص 9- 20)
القصَّة الأولى في المجموعة، وتسمَّت المجموعة باسمها، تحكي قصَّة فلاح تستشهد زوجته في مظاهرة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ويظلُّ يبحث عنها ويرفض الزَّواج من أخرى، ولعلَّ في ذلك ترميزًا للثَّبات على المبدأ في المكان.
- العريس: (ص 22- 27)
في منع التَّجوُّل، يرى الجنود رجلًا رثَّ الثَّياب متَّسخها، فيأمرون الأهالي والمختار بالعناية بالرجل، يبدو الرَّجل مثل عريس، تقوم محطة تلفزيونية بتصويره، وفي منع تجوُّل آخر، يطلق جنود الاحتلال النَّار على العريس ويقتلوه.
- أني لويحزقل: (ص 30- 34)
يتحدَّث السَّارد عن قصَّة والد يحضر محكمة إسرائيلية تحاكم ابنه المتهَّم بالانتماء لفصائل المقاومة، ويظهر في النَّص: القاضي، والمحامي، والظُّلم والمعاناة.

- عندنا الكاوتشوك يزهري: (ص 36-43)
يتحدّث النَّصُّ السَّرْدِيُّ عن شأبٍ اسمه رشاد، يشارك في مظاهرة، ويشتبك مع جنود الاحتلال، ويستشهد، وتنطلق بعد استشهاده حكايات تدلّل على كرامة الشهداء.
 - يوم شفق محمود العبد الرّحيم: (ص 46-56)
يقصُّ النَّصُّ حادثة شفق الشهيد محمود العبد الرّحيم في عكا، ويصف السّارد الحزن الذي رافق تلك الشّهادة، والشّعور بالعزّة.
 - الولد والفرس: (ص 58-63)
طفل يركب فرساً من الحقل، ويعود إلى البيت، يلتقي بجنود الاحتلال، فيوسعونه ضرباً، ثمّ يلتقي بالسّباب ويشاركهم مظاهراتهم ومقاومتهم للمحتلّ.
 - إنهم يشهرون المناجل وراء السّياج: (ص 66-70)
تدور القصة حول قرويّين يدرّشون في حافلة تقلّهم...
 - طريق الأبناء: (ص 72-75)
يدور السّرد حول معاناة رجل اعتقل ابنه، وحوار الزّوج مع زوجته حول استحقاقات المحامي، ومواعيد زيارة المعتقلين.
 - القاوش: (ص 78-83)
ترتبط هذه القصة بسابقتها، حيث يصف السّارد فيها رحلة زيارة المعتقل في بئر السّبع، ويبين تعاطف أهالي المعتقلين مع بعضهم بعضاً، على الرّغم من الفوارق الطبقيّة بينهم.
- ولسنا بصدد دراسة هذه المجموعة دراسة نقدية مستفيضة، إذ أنّ المجال لا يتسع لذلك، ولكن باستطاعتنا تسليط الضّوء على الظواهر السردية الآتية:

- السَّارِدُ في هذه التَّنُصُوصِ سارد كامل المعرفة بشخصه، يعرفها بسماتها وبسلوكياتها، "الدَّحُّ بقى إزقَط حراذين من حواكبر الرَّاس...بقى إسلَّ الحرذون من تحت الشَّجر ويذبحه ويدهن إديه بدَّمُه، وعلى عبد اللُّطيف دير شرف معلِّم العربي والديين دُغري... إقلُّوا أضرب..."⁽¹⁾.
- السَّارِدُ فَلَاح، يفهم اللُّهجة القرويَّة تمامًا، وهو يقولُ شخصه بلهجتهم، في حين يكتب السَّرِدُ بالفصيحة...
- "شغلها هيَّ هيَّ لعينة هالوالدين، طول عمرها بئنطُر هالحجارة ع بتَّه وحده^(*)، وصرارة فوق صرارة، وإن سَخِلْ حَبَّ يتعزَّز وسَقَطْ له صرارتين القيامة بتقوم وما حدَّ بيسلم من لسانها"⁽²⁾.
- وفي السَّرِدُ يوظِّف السَّارِدُ اللُّغة الفصيحة الميسرة، يلحقها بلهجة المتحاورين: "جاء رجل من أقصى الشَّارع يركض... دون أن ينتظر سؤالًا من أحد: ولَّعت - إيش فيه؟ - ثلاث قتلى جابوهم ع المستشفى..."⁽³⁾.
- السَّارِدُ مغرم بتوثيق المكان، يصوِّره بأدقِّ جزئياته، "هذا زقاقهم، وعلى يمينه في الأعلى ساحة بير الشَّيد، وعلى يساره في الأسفل زقاق دار المصري..."⁽⁴⁾. كما يرسم

¹ - شحروري، صبيحي، الدَّاخل والخارج، مجموعة قصصية، منشورات شمس، باقة الغريبة، ط1، سنة 1993م، (قصة إتهم يشهرون المناجل وراء السَّياج)، ص67.

* - المقصود أنَّ الفَلاح كان يبني سلسلة ع بتتين... أي جدار حجري، وأخريوازيه وما بينهما حجارة صغيرة وتراب، وهذا سلسال حجري قوي، والوارد في النَّصِّ بتة واحدة... أي حجر فوق حجر، كما يبني الطُّوب، وهذا سلسال غير قوي.

² - ن.م.، قصة الدَّاخل والخارج، ص9.

³ - ن.م.، قصة "عندنا الكاوتشوك يزهر"، ص36.

⁴ - ن.م.، قصة "الدَّاخل والخارج"، ص10.

المحيط الملائم للحدث، ففي قصّة استشهاد رشاد "إزبدّ الجوّ في ذلك اليوم الشتائي البارد، ثمّ اكفهر، وتطايرت عصافير محوّمة كأنّ حيّة تهديد فراخها، ربح قويّة كانت تجار بالمكان وتعربد فيه".⁽¹⁾

وعند دفن الشّهيد محمود العبد الرّحيم نجد الصّورة الحزينة نفسها تقريباً "وعصافير محوّمة كانت تطير من الصّنوبر فوق الخلايل، وتستقرّ على رؤوس أشجار المشمش تشهد المنظر، وفي الأعلى غيم أبيض ربيعيّ كان يجتاز السّماء بتمهل، وهو يشهد المنظر أيضاً".⁽²⁾

- يوظّف السّارد ضمير الغائب بشكل عام، لكنّه وظّف الفعل المضارع بشكل لافت في قصّة "الولد والفرس" تنحدر به الفرس... وتستقرّ به على الجانب الأيمن، يقول هذا، ثمّ ينهي المحاورّة... يجرب كلّ الأماكن".⁽³⁾

وفي المقابل يدور السّرد من خلال ضمير المتكلم في قصّة "طريق الأبناء" أناديه بصوت خفيض، أدور حول سريره، أنظر إلى وجهه، أعرف أنّه نائم".⁽⁴⁾

- يحفل السّارد بالموتيفات التّراثيّة وكأنّه يريد أن يوثّقها أيضاً: "حملوه، ولّفوا به الشّارع الرّئيسيّ في الحارة الفوقا، وهو يعلو فوق أكفهم وكأنّه طابطة شرايط حائلة اللّون... أخيراً أنزلوه باب بيت أبو القمصان، دخل أحدهم البرنّدة الفوّاحة وتعربش ونتش قطف عنب لم ينضج بعد".⁽⁵⁾

¹- شحروري، المصدر السّابق، قصّة "عندنا الكاوتشوك يزهر"، ص36.

²- ن.م، قصّة "يوم شنق محمود العبد الرّحيم"، ص56.

³- ن.م، قصّة "الولد والفرس"، ص58.

⁴- ن.م، قصّة "طريق الأبناء"، ص72.

⁵- الشّحروري، الدّاخل والخارج، مصدر سابق، قصّة العريس، ص22.

3- ثلاث ليال فلسطينية جدًا:

المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ط1، سنة 2003 م. يكاد يقرب هذا المنجز السردى من سيرة الحياة، ولكن ليس بمعناها النّمطيّ التّفليديّ، أهداه صاحبه "للعزيزين حنان عشراوي، ومحمّد البطراوي، كلّ منهما قرص جبن أبيض في حياتي"⁽¹⁾، ويمتدُّ السرد على شكل تداعيات في عدّة أزمان، وعدّة أمكنة، ففي بلعا "لم أعد إلى الخربة معه، بل ركبت عربة بتعريفه، وعدت مباشرة إلى القرية"⁽²⁾، واضح أنّ الرّمن هنا هو بداية الخمسينيّات من القرن الماضي (من دالّة التّعريفه).

وفي عنبتا، وكفر اللّبد (بلدان مجاوران لبلعا)، "أمدُّ يدي إلى هناك وأطولك حتّى لو طرت فوق سهل عنبتا، واستحكمت فوق قمّة من جبال اللّبد"⁽³⁾ ويمتدُّ النّصُّ لتصل أمكنته إلى طولكرم، والإمارات... وغيرها...

"أراد أن يصل إلى طولكرم مبكرًا جدًا، ليجد مكانًا لحصانه في الخان ويحسم السكّة"⁽⁴⁾.

يهاتف محمود (ابن السّارد) والده من الإمارات "عارف قديش بحبّك بسّ إنت نمره 2 وعمتي نمره 1 لأنّها تعيش في بلعا وأنت بتعيش في طولكرم"⁽⁵⁾. وتكشف هذه السرديّات عن هويّة السّارد (الكاتب) بصراحة: "في حالتي تكزّر هذا فرحًا بالذّكر

¹ - الشّحروري، صبيحي، ثلاث ليال فلسطينية جدًا، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، رام الله، فلسطين، ط1، سنة 2003 م.

² - ن.م.، ص35.

³ - ن.م.، ص61.

⁴ - ن.م.، ص35.

⁵ - ن.م.، ص94.

الوحيد الباقي في الأسرة، أمّا الذّكر الّذي جاء قبلي فقد مات قبل أن يراني أو أراه، وظللت واقعاً بين ميّتين، وسيستمرُّ هذا الوضع إلى ما شاء الله في عائلة مصر وشحروفتش الّتي هي عائلتنا، ذلك أنّنا من مصر أوّلاً، أقصد العائلة، ومع ذلك ننتمي إلى حامولة جاءت من شحرفسّموا شحارنة ونَمَت منهم شحروور".⁽¹⁾

وعلى طريقته يحفل السرد باللّجة العاميّة (لتلائم الشّخصيّة والموقف):
"محمود صرلُ سنين غايب"⁽²⁾، كما تحفل بالصُّور الفلّاحيّة المكوّنة من الأدوات الفلّاحية مثل:

- ويظلُّ يتدقّق، ويتدقّق كخابية.⁽³⁾
- أمّا شعره فأفضل منه لسعات نحل حرّائي هارب من الخليّة وبهيم على وجهه ويجد لدّته في القرص".⁽⁴⁾
- كان يلبس مركوبًا أحمر يزقزق عند المشي، وله أذن يشدُّ بها وفوقه ثوب فوقه بشت ...^(*)

4- سرديات ريفيّة / مرآة لجمر المسافات:

منشورات دار الفاروق للثقافة والنّشر، نابلس، فلسطين، ط1 سنة 2012 م، ويقع الكتاب في 189 صفحة من القطع المتوسّط، يهديه شحرووري إلى ولده مثى.

¹ - ن.م.، ص 66.

² - ن.م.، ص 19.

³ - ن.م.، ص 13.

⁴ - ن.م.، ص 22.

* - صرلُ: صار له / * نحل حرّائي: نحل بلدي من النّوع الشّرس في اللسع / * مركوب: حذاء / * بشت: رداء خارجي خشن قصير الأردان.

يقول شحروري في توضيحه لمفهوم السرديات "هذه سرديات ريفية، يقوم بعضها على مغامرات طفولية، وبعضها على حبٍ فاشل، وتهتمُّ بالفقراء في القرى، تكاد تكون جنساً أدبياً جديداً، فيه من الرواية والسيرة الذاتية، دون التقيّد الصّارم بخصائص أيّ منهما... وهناك حوارات عامية جعلتها يسيرة وقريبة من العامية ما أمكن، ولهذه السرديات بعد تراثي"⁽¹⁾. إذن هي جنس أدبيّ جديد، قائم على زمن واقعي عاشه الكاتب، وأحداثه أمور حياتية حقيقية"⁽²⁾. إنّ زمان الأحداث هو زمن عشته، وعشت فيه، والأحداث إذن هي أمور حياتية حقيقية"، وعند التّمحيص في هذه السرديات نجدها نظاماً يدور حول المكان، والسارد، وممارسات النّاس التي تنتج العلاقات بكلّ تجلياتها في فضاء المكان، وليس صعباً على الباحث أن يجد (بلعا) المكان المرجعيّ في هذه السرديات، ويجد السارد الذي هو نفسه الكاتب (صبيح شحروري) "ينطلق في فضاءات هذا المكان ويوثّق كلّ عناصره: تضاريسه، وشخصه، وعلاقاته... ولعلّ في هذا النّظام الذي شكّل المنجز السرديّ تبريراً واضحاً في تغلغل التّراث في هذه السرديات، تراث ينبثق من بيئة فلاحية تعنى بالزراعة والرعي، وتمارس كلّ طقوسها بناءً على هيكله إنتاج بسيطة، ملخصها زراعة - تعهد الزراعة - جني الغلّة - ثمّ بيعها، وهذا النّظام أيضاً أتاح للسارد كليّ المعرفة المنحاز للفقراء والمقهورين، أن يتحدّث بجرأة وطلاقة عن تجارب الآخرين، من خلال تجاربه... وتسند بطولة كلّ هذه التّجارب للفلاح (السارد الفلاح) إن دقّ التّعبير...

¹ - شحروري، صبيح، سرديات ريفية - مرآة لجمر المسافات، منشورات دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، فلسطين، ط1، سنة 2012م، ص7.

² - ن.م.، ص7.

فتصف السردية بيت الفلاح: "وجدتهم كانوا خمسة على المصطبة المنحشرة في الركن الجنوبي من البيت، آه البيت، فكله قاع بيت، والحمير مربوطة وموزعة هناك بانتظام"⁽¹⁾، ويشرح السارد معنى البيت في حاشية

الصَّفحة: البيت عبارة عن غرفة كبيرة مسقوفة بطريقة القناطر، ومبنية بالطين"⁽²⁾. وفي موطنٍ آخر، يرينا السارد كيفية إنشاء هذا البيت "بدأ البناء بالارتفاع... أزالوا الأخشاب، فظهر السقف عاليًا ومقوسًا وكانت هناك قبة"⁽³⁾.

وعندما يخرج السارد من البيت الفلاحي الطيني إلى الشارع فإنه يرسم المكان بعدسة دقيقة لتوثيقه "قررت العودة إلى البيت من طريق طويل، كنتا نسلكه أحيانًا في النهار، نهبط نحن أولًا عائلة المصري التحتا بقفزة واحدة، إلى داخل حاكورة النجاسة، ثم وبعبقرية خاصة نهبط إلى قطان الشيخ مسعود، قفزت داخل حاكورة النجاسة، أمّا بالنسبة إلى قطان الشيخ فقد نزلت محاذراً سلسلة حجريّة طولها خمسة أمتار، أتمسك بالأحجار من حجر إلى حجر، وأدسُّ قدامي في الشقوق"⁽⁴⁾.

ويتسع المكان في سياق آخر ليأخذ شكل المناطق المتفرقة "ما الذي تفعله بير الشيد لكل هؤلاء الأولاد، إنهم ساحة سحرية، والأولاد يأتون إليها من أقصى البقع في الحارة الشرقية، من الرقي والصنوبر، وخلة النجاسة، وفي الحارة الغربية يأتون من البيضا، وباب الغميقة، وبير جديد"⁽⁵⁾.

¹ - ن.م.، ص 21.

² - ن.م.، ص 21.

³ - ن.م.، ص 30.

⁴ - ن.م.، ص 51.

⁵ - ن.م.، ص 55.

وفي هذا الفضاء يماس السَّارد (الشَّحروري) طقوسه الطُّفوليَّة مع صديقه المشاغب "حردان"، ومن أبرز هذه الطُّقوس صيد الطُّيور والعصافير بالأفخاخ السِّلَكِيَّة وأفخاخ الخيطان، والفخَّة المشبَّكة في حواكير بلعا "وكان نشاطنا يقتصر على الصَّيد في الحواكير، كنَّا نستخدم الفخَّة المشبَّكة، وكنَّا دائماً نصطاد طيور سَرَّاق حنَّة أمُّه، فالطُّيور المهاجرة مثل السَّوَد، وديوك السَّمَّان لا تأتي إلَّا في أوَّل الشِّتاء".⁽¹⁾ ولعلَّ لطفولة تلك الأيَّام ألعابها الخاصَّة بها، والتي تبدو لنا ألعاباً تراثيَّة في أيَّامنا الحاليَّة "أصوات الأولاد ارتفعت على ساحة بير الشَّيد وحولها، وعن قريب سنغمس في ألعاب عديدة الطَّميميَّة، أولك يا اسكندراني، وتوين يا ربعي..."⁽²⁾

وللكبار ممارساتهم الاقتصاديَّة وطقوسهم الإنتاجيَّة والفلاحيَّة "هبطنا إلى الحرَّقان"^(*)، تلك السُّفوح لا ينبت فيها التَّين والزَّيتون إلَّا في أعلاها، وتنتبت فيها التُّفاحيَّات واللَّوزيَّات... حريق أبو نعيم لا يخدم... والقَبَّار قد ترعرع فيه وثمره أينعت".⁽³⁾ ويصف السَّارد آليَّات تقسيم المواسم على زمن السَّنَّة بطولها "في الرِّبيع يتمُّ تعزير الأرض، وفي أوَّل الصَّيف جني ثمار الحواكير وبيعها".⁽⁴⁾

وفي سياق آخر "وممَّا خفَّف الأمور قليلاً من ناحية التَّغذية، قدوم موسم التَّين... فهو والصَّبْر يسميَّان بالقيظ، أي أنَّهما يشبعان، لا يستغنى بهما تماماً عن الطَّعام ولكنَّهما يعينان ويساعدان"⁽⁵⁾. إنَّ هذه الآليَّة الإنتاجيَّة، بقدر ما تصنع الغلَّة، وتُقيت

¹ - ن.م.، ص 39.

² - ن.م.، ص 16.

* - الحرَّقان: اسم أرض.

³ - ن.م.، ص 26.

⁴ - ن.م.، ص 88.

⁵ - ن.م.، ص 120.

النَّاس، فإنَّها في الوقت ذاته تصنع العلاقات الاجتماعية بين النَّاس في فضاءاتها الفلأحيّة، وتسدُّ الاحتياجات في تمثين العلاقات "سَلْمنا، ومن باب داخلي نادى الرَّجل على أختي، جاءت مسرعة ومبتهجة... قبّلت يد أبي، وقبّلتني، ودار حديث قصير عن الصّحة والأحوال، سأل أبي عن صهرنا... فجاء بغباره تقدّم من أبي وقبّل يده"⁽¹⁾، وضمن هذه العلاقات الاجتماعية يتهدى النَّاس تلك الهدايا الّتي تلائم طبيعة الفضاء الاقتصاديّ الاجتماعيّ، فالطّفّل (السّارد في طفولته) يهدي صديقه مروان "الفخاخ الحديدية والشّباكية، وخيطان القنّب لعمل الأقواس، وموس كبّاس يقطع الأغصان الّلازمة..."⁽²⁾. وتكبر الهدية لتلائم مستوى حاملها ومتلقّيها "وفاجأ الخفيف أصهاره بهديّة ثقيلة تنكة زيت وأخرى من الجبن"⁽³⁾.

وكأنّي أرى السّارد يغوص في طيّات المجتمع يستكّنه ممارساته، وتفاعلاته في المكان، ويركّز على تكثيف الصُّور التُّراثيّة، لتسطع هويّة الإنسان الفلسطينيّ الثّابتة فيه... فهناك الخُرافة "الدّواب بتشمّ ريحة الضّبّاع، وفي هذه الحالة حسان... حمار، يبّلهد، أي يقف خائفًا ولا يتحرّك... هذا هو نتيجة لقاء الحمير مع الضّبّاع"⁽⁴⁾، وللشّارع قصصه عن أبو رجل مسلوخة، والّذي يحمل مؤخّرته في السّلّ، وكلُّ شبر فيه مسكون"⁽⁵⁾.

¹ - ن.م.، ص32.

² - ن.م.، ص36.

³ - ن.م.، ص134.

⁴ - ن.م.، ص50.

⁵ - ن.م.، ص51.

كما تظهر الأمثال الشَّعبية في هذا المجتمع ملخَّصة تجاربه وممارساته "ما لك أجتلك خالتك"^(1*)، "ساغ سليم عالبيطار"^(2*)، "غيمة وانزاحت"^(3*)، "هذا الخفيف ميكل البيضة والتَّقشيرة"^(4*). كما تتحدَّث السَّرديات في مواطن كثيرة منها عن شكل المدارس، وآليات تعليم الطَّلبة فيها "كان التَّعليم 7 سنوات في الابتدائية، وأربع سنوات في الثانوية، ثمَّ يتقدَّم الطُّلاب لامتحان شهادة الاجتياز إلى التَّعليم العالي الفلسطيني، متَّرك فلسطين وهو غير المتَّرك الأردني الَّذي جاء لاحقاً..."⁽⁵⁾.

بقي أن نقول في هذه العجالة، إنَّ السَّارد يعزِّز مصداقية هذه السَّرديات وموضوعيتها بذكره لاسمه صريحاً في أكثر من موطن⁽⁶⁾، كما يذكر بعضاً من سماته الدَّاتية، وخصوصاً تجربته في السُّفور (إن دقَّ التَّعبير)، حيث كان خلع الحطَّة والعقال عن رأس الرِّجل يعدُّ عيباً في تلك البيئة، ولكنَّ السَّارد (الشَّحروري) قام بذلك، بكل جرأة وثقة...⁽⁷⁾

وفي الخلاصة فإنَّ هذه السَّرديات، تجربة أدبية، تعبِّر عن ثقافة وانتماء، كما أنَّها تصوِّر زمانها ومكانها، بلغة ميسرة جدَّابة (لغة السَّارد)، ولغة عامية يومية إن نطق بها أبطال القرية.

¹ - ن.م.، ص 12. * علامة على الجنون.

² - ن.م.، ص 36. * البيطار هو الَّذي يحذو الحيوانات.

³ - ن.م.، ص 81. * كناية عن نهاية الغمِّ والهَمِّ.

⁴ - ن.م.، ص 92. * كناية عن الجشع والطَّمع.

⁵ - ن.م.، ص 38.

⁶ - ن.م.، ص 26، ص 37، ص 38... وغيرها.

⁷ - ن.م.، ص 40، ص 46، ص 47.

صبي شحروري الناقد:

أنجز صبي شحروري العديد من الدراسات النَّقدية، جاءت مقالات في صحف، أو أوراق في مؤتمرات أدبية، أو مؤلفات دراسية، ومن أبرز هذه الأعمال:

- 1- القصَّة القصيرة في الأرض المحتلَّة، بالشَّرَاكة مع الدُّكتورَة حنان عشاوي: صدر المنجز عن الملتقى الفكريِّ العربيِّ، القدس، عام 1988م، وهو أوراق عمل بحثية نوقشت في ندوة أدبية نظَّمها الملتقى الفكري العربي في القدس بتاريخ 12/2/1986م. درس شحروري في هذا المؤلَّف 8 قصص قصيرة لقاصِّين فلسطينيين، حيث بدأ هذه الدِّراسة بتصوُّر نظريِّ حول المعايير الَّتِي اتَّبَعها في نقد القصَّة القصيرة، مثل: الكثافة الشَّديدة في القصَّة، وخلوِّها من الاستطراد، كذلك سمة التَّلَميح والإيحاء، وتعدُّدية الأصوات داخل النَّصِّ، ووحدة الرُّؤية عند الكاتب، وجدليَّة العامِّ والخاصِّ، وعلاقة الشَّكل بالمضمون. (ص2-3).
- ص4-6: درس قصَّة الجرح لإبراهيم علم، حيث لَحَّص القصَّة، ثمَّ تناول لغة القصِّ ووظيفتها.
- ص6-8: ركَّز شحروري على الحوار في قصَّة "أمومة" لجمال بئورة، وبيَّن وظيفة هذا الحوار.
- ص8-11: في قصَّة "تضاريس للهزيمة القادمة" للقاصِّ حسن أبو لبدة، بيَّن الناقد صوت القاصِّ الَّذِي كان وراء الحدث، دون أن يظهر، لذا بنيت الأفعال للمجهول.
- ص11-14: تطرَّق الناقد إلى توظيف المنهج البنيويِّ في تحليل قصَّة "الحمامة" لمحمَّد عليَّان، وبيَّن العلاقات بين شخوص القصَّة، والعلاقات الموازية لها.
- ص14-15: يسلِّط الضَّوء على "القصَّة في القطاع، ويركِّز الناقد على الحدَّة الَّتِي يتناول بها كُتَّاب القصَّة الغزِّيُّون موضوعاتهم، حيث تتجلَّى هذه الحدَّة بارتفاع درجة الانفعال في القصَّة.

- ص 15-17: ولعلّه في استعراض القصّة في القطاع، أسّس للحديث عن قصة "التطوّر وصمت البحر" للقاصّ الغزيّ غريب عسقلاني.
- ص 17-18: في نهاية البحث يلخّص النّاقّد أهمّ استنتاجاته، وأهمّ ما جاء في ورقته النّقديّة.⁽¹⁾

2- تأويل الشّعْر المحليّ بين نهوضه واستنساخ الواقع:⁽²⁾

- دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، نابلس، ط1، سنة 1995م. يقع الكتاب في 238 وجاء على النّحو الآتي:
- ص 1-7: بيّن النّاقّد أنّه استخدم أكثر من منهج في دراسته، إضافة إلى دور الدّائقة الأدبيّة، وركّز أيضاً على دور ثقافة النّاقّد في العمل النّقدي.
 - ص 7-9: قدّم النّاقّد لمحات عن نظريّات النّقّد الأدبي، وتحدّث عن النّصّ والسّياق.
 - ص 13-18: شرح عن التّزعة الشّكليّة الرّوسيّة.
 - ص 18-29: عرّج النّاقّد على النّظريّة الماركسيّة، وأشكال تحقّقها في الواقع، وعلاقتها بالإنتاج الأدبيّ والإبداع، وتجليّات ذلك في شكل النّصّ ومضمونه.
 - ص 29-35: يتحدّث النّاقّد في هذا الجزء عن البنيويّة: المفهوم، وآليّات توظيف النّظريّة في النّصّ.
 - ص 35-38: يتطرّق النّاقّد لدراسة "ما بعد البنيويّة" مثل النّظريّة التّفكيكيّة.

¹ - شحروري، صبيحي، وعشراوي، حنان، القصّة القصيرة، الملتقى الفكري العربي، القدس، عام 1988م.

² - شحروري صبيحي، تأويل الشّعْر بين نهوضه واستنساخ الواقع، دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، نابلس، ط1، سنة 1995 م.

- ص 38-40: يستعرض الناقد نظريّة القارئ، وأهميّة القارئ في إعادة إنتاج النّصّ من خلال القراءة الواعية، وكأنّ الحبل السريّ بين الكاتب والنّصّ قد انقطع، وأصبح القارئ هو صاحب النّصّ.
- ص 40-41: يتحدّث هذا القسم عن الأدب النّسائي، وأثر الحركات النّسويّة في الإبداع والنّقد.
- ص 42: المراجع.
- ص 43-60: ناقش الناقد رباعيّات محمود درويش، فاستعرض: الموسيقى، والتّفعليلات العروضيّة، والقافية، كما يدرس في هذا القسم العلاقات بين الألفاظ كالمماثلة، والمشاكله والتّباين.
- ص 61-100: يتناول فيه الناقد ديوان "ع الوجع" لسعود الأسديّ، وهو ديوان شعريّ شعبيّ، يعتمد اللّهجة العاميّة المحكيّة، ويشرح الناقد: سمات لهجة أبناء الشّمال العاميّة، كما يتحدّث عن الصّور والتّصوير في الدّيوان، ثمّ يتطرّق إلى قضايا أسلوبيّة مثل: علاقة العنوان بالنّصّ، والمباشرة والتّصوير ومسألة التّسكين. إضافة لذلك يدرس الناقد بعض قصائد الأسديّ التي وردت في الدّيوان، ويربط هذه القصائد بالواقع الفنيّ والتّراثي والوظيفي.
- ص 101-112: يتناول الناقد ديوان عبد النّاصر صالح "المجد ينحني أمامكم"، حيث يتناول النّصّ مقطعاً إثر آخر معلّقاً عليه: لغة، وموسيقا، وأثراً في الواقع.
- ص 113-136: يعرّفنا الناقد بديوان "عاصفة على رماد الدّأكرة" للشّاعر سليمان دغش، ثمّ يذكر الناقد أسباب حذف بعض الشّعراء لقصائدهم القديمة، ثمّ يتطرّق لآليّات النّشر وفرصه التي تبرّر تجاوز قصائد حديثة وقديمة للشّاعر، كما يطرح الناقد مسألة تعدّد المناهج النّقديّة وتكاملها في دراسة النّصّ... ومن ثمّ

ينتقل لدراسة: الوزن، والبيت الشعري، والقافية، وبنية المكان، ثمّ يبحث في معجم الشّاعر، وفي الضّمير السّائد في النّصوص.

▪ ص137-161: يتناول النّاقِد في هذه الصّفحات ديوان "أكمام تحت الجليد" للشّاعر أديب رفيق محمود:

- يعرف النّاقِد بالديوان، ثمّ يتعرّض لمفهوم الشّعرو ووظيفته.
- يتطرّق النّاقِد إلى الوزن والقافية، وطول السّطر الشعريّ (بنية المكان).
- انتظام طول المقاطع، ودلالة البياض في حواشي الصّفحة.
- يناقش العناوين، والزّمن الدّاخلي في النّصّ، والانزياح، والضّمير السّائد في النّصوص.

▪ ص165-188: يدرس النّاقِد ثلاث قصائد للشّاعر علي الخليلي من ديوانه "سبحانك سبحاني، من طينك طوفاني"، حيث ترصد الدّراسة: التّفعليلات العروضية، واللّغة، والانزياح.^(*)

- ص189-208: يتعرّض النّاقِد لديوان "هنا أوّل البرّ" لوسيم الكردي، حيث يدرس الفروقات بين القصائد في طولها وقصرها، ثمّ ينتقل لدراسة الموسيقى والتّفعليلات، ومن ثمّ يتطرّق إلى الأفعال في النّصّ، والعلاقة بين الشّكل والمضمون.
- ص209-244: يدرس النّاقِد ديوان "فانتازيا رجل فوضوي"، عرّف النّاقِد بالديوان، وأشار إلى ظاهرة نشر الفرد لأعماله على نفقته الخاصّة، ثمّ يعرّج على عناوين النّصوص، والضّمائر المستخدمة، والعلاقات التي ولّدها النّصّ.

* - الانزياح: عدم انصراف الكلام إلى ما وضع له أصلاً، وأفضل دليل على ذلك المجاز...

- ص 225-238: تناول في هذا القسم ديوان "ليالي الدّم والسّوسن" للشّاعر باسم الهيجايوي، بيّن منهجيّة الدّراسة، وجزّس التّمائل بين المقاطع، ثمّ رصد بعض الإشارات البلاغيّة والعروضيّة.
- ثمّ محتويات الدّراسة.

3- شيء ممّا أبقته الرّيح، دراسات في الشّعْر الفلسطيني، دار الفاروق، نابلس، فلسطين، ط 1، سنة 2009م.

يقع الكتاب في 275 صفحة من القطع المتوسّط، وجاء على التّحو الآتي:
 ص 7-58: درس النّاقِد شعر الشّاعر يوسف أبو اللّوز "في مجرّة القتلى".
 ص 59-69: قصيدة "لا تشتمها شفة"، للشّاعر علي الخليلي.

مدارات في جداريّة محمود درويش، وقسمه إلى:

ص 71-87: مدار أوّل عن الظلّ في الجداريّة.

ص 88-104: المدار الثّاني عن الموت.

ص 105-116: المدار الثّالث عن الاستعارات.

ص 117-134: المدار الرّابع عن الغياب والغربة.

ص 135-151: المدار الخامس عن الميثولوجي والبعيد في الجداريّة.

ص 152-186: المدار السّادس عن فضاء التّدوين الشّعري في الجداريّة.

ص 187-197: المدار الأخير عن التّكرار عموماً والتّكرار في الجداريّة.

ص 198-220: حيرة ولكنّها مهبطة.

ص 221-229: عن الإيقاع والاستعارات. الانكفاء والموت هو السّائد في "ترانيم أخرى".

ص 230-275: دراسة تحليليّة لنصوص الشّاعرة منال النّجوم.

إنَّ الألف في هذا الكتاب تناوله لجدارية محمود درويش بطريقة نقدية تحليلية جريئة، وليس غريباً ذلك على شحروري، فهو شيخ النُّقاد كما يسمّيه الكاتب الفلسطيني محمود شقير، فقد تمرّس في الكتابة السردية أولاً، ومن ثمَّ انطلق من التّركيب إلى التّدوُّق والتّحليل والنّقد بما في ذلك إصدار قيمة على ما يقرأ... وسواء في كتابته السردية أو النّقدية، فقد أفاد شحروري من دراساته العليا في التربية وعلم النّفس، ومن قراءته لكلِّ المدارس النّقدية العربية والأجنبية، بدءاً بالوجودية (في مجلّة الآداب) إلى الماركسية إلى البنيوية والتّفكيكية، وصولاً إلى مرحلة ما بعد البنيوية.

يقول شحروري "إنَّ قراءة النّصِّ قراءة تأملية واعية هي التي تستحضر المدرسة أو المنهج النّقدي الذي يلائمه، وقد يلائمه غير منهج... ففي النّصِّ السردية يميل شحروري إلى قراءة النّصِّ ثمَّ الكتابة عنه قطعة واحدة، بعكس قراءته للشّعر، حيث يميل إلى تجزئة القصيدة إلى مقاطع، ثمَّ دراسة كلّ مقطع على حدة، وفي التّفريق بين الإبداع الشّعري والنّثري يقول: "نحن العرب غنائيون في الشّعر عمومًا، وفي القصّة نقرب من الواقع، ولم ننضج لكتابة رواية موضوعية بعد". وأظنّه أراد الأبعاد الإنسانية الشمولية في الرواية، وعلى كلّ حال فإنَّ شحروري لا يؤمن بانعكاس الواقع بشكل كليّ في النّصِّ السردية، وإنّما لا بدّ من تجميل هذا الواقع، إذ إنّ رسالة الفنِّ تكمن في تجميل الواقع، وليس في تصويره فوتوغرافياً.

في تناوله للشّعر، يتحدّث عن كلّ العناصر التي تتأثّر إليه لحظة القراءة كظواهر لافتة للنّقد والتّحليل، فيتناول الموسيقى، والتّفعيلات والقافية، كما يتطرّق إلى طول الأسطر الشّعريّة وقصرها، والعلاقات الدّاخلية في النّصِّ، إضافة لذلك فإنّه في كثير من الأحيان يحيل معاني النّصِّ إحالات فلسفية وميثولوجية. ويسلّط الضّوء على العنوان، وعلاقته بالنّصِّ، في معظم تحليلاته النّقدية.

يقول شحروري "إنَّ النَّقْدَ في الشُّعْر لم يعد قائمًا على عنصر واحد كالوزن والقافية، بل أضحت القصيدة نسيجًا من عناصر عديدة متداخلة، وتتجلى مهمّة الناقد في تفكيك هذا التشابك، ولذا فإنَّ عمل الناقد يكمن في التَّحليل، ومن ثمَّ التَّركيب وفق قراءته... ويمكن أن تتعدّد هذه القراءة".

بقي أن نقول إنَّ شحروري يحتفي باللُّغة أيّما احتفاء، ففي سرديّاته يشحن لغته بطاقة من العواطف، والواقعيّة فيحيلها إلى كائن جذاب، يحمل رسائل مثيرة ومؤثّرة، وفي دراساته النّقديّة، يتأمّلها ويرى ملاءمتها للسَّارد، أو الشَّخصيّة، أو ملاءمتها للمعاني التي يحملها النَّصُّ بشكل عام...⁽¹⁾

¹ - مقابلة الباحث لصبيحي شحروري 2014/2/15م.

مصادر الدِّراسة:

1. الأسطة، عادل. سؤال الهوية، فلسطينية الأدب والأديب. ط1. رام الله: دار الشُّروق للنَّشر والتَّوزيع، 2000.
2. الأسطة، عادل. القصَّة القصيرة. في الضَّفَّة الغربيَّة وقطاع غزَّة 1967-1981. ط1. نابلس: دن، 1983.
3. حمادة، محمَّد. موسوعة أعلام فلسطين في القرن العشرين، سوريا: دن، 2000.
4. شحروري، صبحي. تأويل الشِّعر بين نهوضه واستنساخ الواقع. ط1. نابلس، فلسطين: دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب، 1995.
5. شحروري، صبحي. ثلاث ليال فلسطينية جدًّا. ط1. رام الله: المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، 2003.
6. شحروري، صبحي. الدَّاخل والخارج. مجموعة قصصية. باقة الغربية: منشورات شمس، 1993.
7. شحروري، صبحي. سرديات ريفية، مرآة لجمر المسافات. ط1. نابلس، فلسطين: منشورات دار الفاروق للثقافة والنَّشر، 2012.
8. شحروري، صبحي. شيء ممَّا أبقتة الرِّيح، دراسات في الشِّعر الفلسطيني. ط1. نابلس، فلسطين: دار الفاروق، 2009.
9. شحروري، صبحي. المعطف القديم. مجموعة قصصية. ط1. القدس: منشورات البيادر، 1983.
10. شحروري، صبحي وعشراوي، حنان. القصَّة القصيرة. القدس: الملتقى الفكري العربي، 1988.

11. شحروري، صبحي. "قصّة ضيف في الزوّية" مجلّة الآداب، العدد الرّابع، نيسان 1964، 12، بيروت لبنان.
12. شقير، محمود. "صبحي شحروري المثقّف الذي لا يساوم"، مجلّة الشُّعراء، فلسطين، خريف 2004، العدد 26.
13. يخلف، يحيى. الحياة الجديدة، 4 كانون الأوّل، عام 2013، العدد 6494.

المقابلات: -

- مقابلة الباحث لشحروري في 2014/2/8.
- مقابلة الباحث لشحروري في 2014/2/15.